

من كتاب: تزييف الوعي البشري، وإنذارات الانقراض (17) بعض فكر يحيى الرخاوي "تزييف الوعي البشري، وإنذارات  
الانقراض" (1 من 2)



[yehiattrakhawy@hotmail.com](mailto:yehiattrakhawy@hotmail.com)

نشرة "الإنسان" 2021/06/26  
السنة الرابعة عشرة - العدد: 5047

د. بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

عبر التاريخ، لم تتوقف الحروب، ولا محاولات الإبادة، ولا التطهير العرقي، ولا حملات الاستعمار بالجيوش، ثم الاستعمار الاقتصادي، فالاستيطاني، بطول التاريخ وعرضه لم تتوقف الكوارث الطبيعية، وامتحانات القدر غير المفهومة.

كل ذلك كان محدودا جغرافيا بمكان بذاته، وبزمن له بداية و نهاية من حيث أن نزوات أوغزوات الدمار تنتهي بانتهاء العمر الحقيقي أو الافتراضي، سواء عمر الطاغية أو النظام، كما كانت الكوارث الطبيعية مؤقتة مهما تقامت آثارها.

الجديد في الأمر هو الانتباه إلى احتمال "شمولية" هذه الجرائم والمآسي حتى تبدو فعلا ماديا مع أن آثارها تصل إلى التهديد بالإبادة الجماعية، أي: انتحار النوع.

ظل السيد بوش وفرقته يكررون على مدار ساعات اليوم والشهر والسنة نغمة: التخلص من امتلاك أسلحة الدمار الشامل، بالتبادل مع نغمة القضاء على الإرهاب (كما صنفوه)، وبغض النظر عن فشلهم في إثبات ما يدعون هنا أو هناك، فإن الذي ينبغي أن يرسخ في وعينا هو هذا التنبيه على احتمالية "شمول الدمار حتى الانقراض" !!

شكرا يا سادة، وإن كنتم لا تقصدون.

متى يكون الدمار شاملا؟

شمول الدمار لا يقا [] بعدد القتلى، ولا بغباء (أو ذكاء) القتلى، ولا بمدى فتك السلاح المستعمل. يكون الدمار شاملا حين يتمثل في سلوك أو إجراء مستمر، وامتداد ومتسارع، بحيث يفوق في تسارعه وامتداده، كل القوى التصحيحية والمعادلة التي تحاول أن تحول دون الهلاك الجماعي للنوع البشري.

من هذا المنطلق يمكن الزعم (بل الجزم) أن مقتل بضعة آلاف من الأمريكيين في مركز التجارة العالمي، أو حتى بضعة مئات الآلاف من الأفغان والعراقيين، سواء بسيف الطغيان أو بغباء التخلف، أو بذكاء أطنان القنابل، أو بالتجويع، أو بالإذلال، كل هذا ليس دمارا شاملا، لأنه لا يهدد مجمل الوجود البشري طولا وعرضا، طول الوقت.

إن ما حدث ويحدث الآن من قتل للأبرياء، وإحياء للاستعمار القديم، واستغلال للموارد، واستعمال لفئة من البشر باعتبارهم أدنى، هو النتيجة الطبيعية لسوء استخدام آليات ووسائل بعض إنجازات العقل

عبر التاريخ، لم تتوقف الحروب، ولا محاولات الإبادة، ولا التطهير العرقي، ولا حملات الاستعمار بالجيوش، ثم الاستعمار الاقتصادي، فالاستيطاني، بطول التاريخ وعرضه لم تتوقف الكوارث الطبيعية، وامتحانات القدر غير المفهومة

الجديد في الأمر هو الانتباه إلى احتمال "شمولية" هذه الجرائم والمآسي حتى تبدو فعلا ماديا مع أن آثارها تصل إلى التهديد بالإبادة الجماعية، أي: انتحار النوع

شمول الدمار لا يقاس بعدد القتلى، ولا بغباء (أو ذكاء) القتلى، ولا بمدى فتك السلاح المستعمل

يكون الدمار شاملا حين يتمثل في سلوك أو إجراء مستمر، وامتداد ومتسارع،

بعبارة يفوق في تسارعه  
وامتداده، كل القوى  
التصحيحية والمعادلة التي  
تحاول أن تحول دون الهلاك  
الجماعي للنوع البشري

إن ما حدث ويحدث الآن من  
قتل للأبرياء، وإحباط للاستعمار  
القديم، واستغلال للموارد،  
واستعمال لفئة من البشر  
باعتبارهم أدنى، هو النتيجة  
الطبيعية لسوء استخدام أليات  
ووسائل بعض إنجازات العقل  
المنطقي البالغة القدرة،  
لتزييفه منظم للوعي البشري،  
إن هذا التزييف يتم بالذات  
من خلال الإعلام والتعليم  
(تصور!!)

حتى وراثه الطغيان والإجرام  
القاتل تحب شعاراته خادعة،  
له سوابق تاريخية تكاد تكون  
طبق الأصل من حيث المزام  
والنتيجة جميعا

إذا أردنا أن نقرأ الأحداث  
الأخيرة بمسئولية مناسبة،  
وبرغم الألم والانكسار، علينا  
أن نكف قليلا أو كثيرا عن  
النعي والنعابة، لننظر في  
حقيقة وعمق معنى الأحداث  
باعتبارها نذيرا للبشرية كافة.

النذير ليس فقط في إعلان  
النكسة البشرية التي تحدث  
تبرر أن يصنف البشر إلى  
”أدوات وعبيد“ مقابل ما هو  
”ناس وأسياد“، ولا في أن  
الديمقراطية المزعومة لا تمثل

المنطقي البالغة القدرة، لتزييف منظم للوعي البشري، إن هذا التزييف يتم بالذات من خلال الإعلام  
والتعليم (تصور!!)، يحدث ذلك لصالح خدمة قلة تملك من مقدرات الحياة ووسائلها أكثر بكثير مما  
تستطيع أن تستعمله، أو أن تتحمل مسؤوليته، هذه القلة هي التي تسخر أروع الإنجازات لأسفل الأغراض  
وأخطرها، وهي تكاد تعمى، وهي تدفع بالمسيرة البشرية إلى ”انتحار شامل“، تعمى حتى عن موقعها  
وهي في مقدمة هذا الطابور الذي تجذبه (لا تدفعه) معها إلى هاوية الانقراض.

## لا جديد إلا الشمول

إن الذي فعله ويفعله الأمريكيون في أفغانستان والعراق هو جريمة مسبقة ليس فيها جديد، إلا معالم  
شمولها، حتى وراثه الطغيان والإجرام القاتل تحت شعارات خادعة، له سوابق تاريخية تكاد تكون طبق  
الأصل من حيث المزام والنتيجة جميعا. ليس جديدا ما يفعله بوش الابن بعد الأب، أو ما فعله عدوى  
وقصى مع والدهما الطاغية. التاريخ يذكرنا كيف أن الإسكندر تولى الحكم وهو في العشرين بعد  
اغتيال أبيه ”فيليب“ الذي مار [ الغزو والقتال والإبادة طولا وعرضا، ثم إنه حين اغتيل وتصورت  
اليونان أنها قد استراحت من شره، إذا بابنه الاسكندر يجتاح المدينة، يذبح كل سكانها..، ثم يعبرها، ليهزم  
جيوش الفر [، ويندفع إلى سوريا ومنها إلى مصر ثم يعود إلى بابل، ويأمر بذبح سكان مدينة بأكملها  
لأنهم من الإغريق، ويموت في الثانية والثلاثين من عمره<sup>(4)</sup>، وبرغم كل هذا فإن ذلك لا ولم يعد دمارا  
شاملا، هذه الأفعال كانت طغيانا محدودا، حتى لو تم من خلالها محو مدن بأكملها، أو إبادة قومية عن  
بكرة أبيها. الذي كان يحدها آنذاك هو محدودية قدرات فتك السلاح المتاح من جهة، وصعوبة انتشار  
الوباء القاتل من جهة أخرى، أى تواضع صناعة السلاح، وبدائية التوصيل والتواصل، بتغلب البشرية  
على هذه الصعوبة وتلك، أصبح الدمار أكثر شمولاً، والانقراض أكثر احتمالا.

## النذير:

إذا أردنا أن نقرأ الأحداث الأخيرة بمسئولية مناسبة، وبرغم الألم والانكسار، علينا أن نكف قليلا أو  
كثيرا عن النعي والنعابة، لننظر في حقيقة وعمق معنى الأحداث باعتبارها نذيرا للبشرية كافة.

النذير الذي ينبغي أن يتماثل أمام كل النا [ الآن لا يكمن فقط في إدراك مدى تعلق القوى الكمية  
التدميرية المغترية، ولا في ما آل إليه تسويق وتقديس قيم الإستهلاك للاستهلاك، والتميز بالمال لندرة لا  
تعرف كيف تنقعه، النذير ليس فقط في إعلان النكسة البشرية التي عادت تبرر أن يصنف البشر إلى  
”أدوات وعبيد“ مقابل ما هو ”نا [ وأسياد“، ولا في أن الديمقراطية المزعومة لا تمثل لا العدل ولا الحرية،  
ولا في أن الدين أصبح مطية للساسه والسياسة بدلا من أن يكون دافعا للإبداع وحافزا للتطور، إن كل هذه  
المخاطر جدية بالانتباه والمواجهة، لكن الأحداث الأخيرة تنذر بما هو أهم وأخطر، تعالوا ننصت لها  
وهي تقول:

(1) إن ثمة أسلحة شديدة الخطورة أصبحت في متناول عدد متزايد من النا [ هنا، وهناك.(حكومات،  
وأهالي، قطاع عام، وقطاع خاص !!).

(2) إن كثيرا ممن يمكن أن يحوزوا هذه الأسلحة لا يحسنون حمل مسؤوليتها (يستوى في ذلك  
صدام،وبوش، و شارون، و بن لادن).

(3) إن الخطأ الذي قد يرتكبه أى من هؤلاء أصبح ”شاملا“ لأنه يهدد كل النوع البشري  
بالانقراض،وليس بالمعنى الذي يردده بوش، وهو يعتبر جرح إصبع مواطن أمريكي أخطر ”شمولا“ عن  
ما يمارسه من تدمير البشرية، من إبادة مئات الآلاف مجهولي الهوية عبر العالم.

## الفرض:

فرض هذه المداخلة يقول: "إن ثم خطرا أساسيا أكبر يكمن وراء تلاحق هذه الأحداث الكوارث، هو أكبر بكثير من الضرر الذى أصاب أفغانستان، والعراق، أو الذى يمكن أن يصيب أى قطر يغزوه هؤلاء الغزاة تحت زعم التعمير أو التحرير أو التنوير، هذا الخطر هو: تزييف الوعى البشرى بما يخالف طبيعته، أى طبيعة وقوانين التطور، وهو خطر خبيث حين يسمح بمثل ما يجرى، ثم يبرره ليطمأدى في مساره الانقراضى بما يهدد بانقراض كل البشر!".

## أخطاء التطور

ثمّة أخطاء جسيمة ترتبت على سوء حسابات قوانين التكيف لصالح مزيد من التطور البشرى، مثل هذه الأخطاء واردة عبر تاريخ التطور. كل الأحياء الباقية صححت أخطاءها أولا بأول بشكل أبقي على استمرارها، أما الأحياء التى لم تستطع أن تصحح مسارها فقد انقرضت، إن أى ناظر فى التاريخ والحاضر، يمكنه أن يدرك بوضوح أن الإنسان مسئول-ربما دون سائر الأحياء- عن انحراف مسار تطوره، وأنه، وليست الطبيعة، هو السبب فى ذلك، وفى نفس الوقت نلاحظ أنه أيضا لم يكف عن محاولة تصحيح أخطائه، وتعديل مساره.

## أزمة الوعى، ومحنة العقل:

الخطر الذى يهدد الإنسان أكثر فأكثر ينبع من نفس الميزة (الميزات) التى تميز الإنسان بها على سائر الأحياء، ذلك أن هذا الخطر هو ناتج من اكتساب الإنسان ذلك القدر من "الوعى بالذات وبالزمن"، وأيضا من تميزه بتلك الآلية المسماة الأحدث "العقل" وهى لا تمثل إلا قشرة مميكنة من تاريخ تطوره، نتيجة لهذا وذاك، أصبح مستقبل الإنسان، دون سائر الأحياء المعروفة، غير قاصر على الناتج التكيفى الطبيعى للتفاعل مع البيئة والمحيط، بل أصبح تحت رحمة نجاح أو فشل هذا الوعى المنحرف وذاك العقل الجزئى، حيث تدخل كل من هذا وذاك، سلبا، وعماء، بالتخطيط الغبى، حتى أدى به إلى الوقوع فى أخطاء تهدد بانقراضه.

## تزييف الوعى:

يبدو أن ما انتهت إليه البشرية من إنجازات فى كل المجالات (الإبداعية والتقنية والعلمية خاصة) هو أكبر من قدرتها الحالية على استيعابها لصالح تطور نوع البشر، بل إن المرود كان معكوسا فى كثير من الأحيان، حيث تم توظيف هذه الإنجازات لتزييف الوعى، لا لحماية النوع وحفز التطور.

يتم تزييف الوعى بشكل متما، سرا وعلانية من خلال سلطات رسمية، أو منظومات خاصة، يتم بوسائل شديدة التنوع والإلحاح نكتفى بمجرد الإشارة إلى بعضها، دون تناول أى منها تفصيلا، ومن ذلك: الاختزال، والتهميش، والتجزئ، والإحلال، والإلهاء، والتعتيم، والتدين الشكلي، وادعائه، والترغيب، والترهيب، والاستقطاب، والتأجيل، وما شابه. إن أبسط وأحدث الأمثلة للإلهاء والإغراق والإزاحة معا هو ظهور هذا الكم الهائل من الإذاعات، والمحطات الفضائية والمحلية، خذ- مثلا - المحطتين اللتين ظهرتا مؤخرا تديعان أغان خفيفة طوال 24 ساعة، ما هى المساحة التى تبقى فى وعى، أو وقت، أو ذاكرة، أى شاب أو فتاة أو شخص لأى شىء آخر، مثل هذا الإجراء لا يحشر معلومات مغرصة بذاتها فى أمخاخ المتلقين، لكنه يكتفى بشغل كل شىء بأى شىء (5) أو حتى بلا شىء، وبالتالي تصبح مساحة ما تبقى من الوعى سلبا خالصا جاهزا لتلقى أى شىء، يمكن الرجوع للمزيد فى "خدعة التكنولوجيا". (6)

لا العدل ولا الحرية، ولا هى أن الدين أصبح مطية للماسة والسياسة بدلا من أن يكون دافعا للإبداع وحافزا للتطور

إن ثمّة أسلحة شديدة الخطورة أصبحت هى متناول عدد متزايد من الناس هنا، وهناك. (حكومات، وأهالى، قطاع عام، وقطاع خاص !!).

إن ثم خطرا أساسيا أكبر يكمن وراء تلاحق هذه الأحداث الضواري، هو أكبر بكثير من الضرر الذى أصاب أفغانستان، والعراق، أو الذى يمكن أن يصيب أى قطر يغزوه هؤلاء الغزاة تحت زعم التعمير أو التحرير أو التنوير

هذا الخطر هو: "تزييف الوعى البشرى بما يخالف طبيعته، أى طبيعة وقوانين التطور، وهو خطر خبيث حين يسمح بمثل ما يجرى، ثم يبرره ليطمأدى في مساره الانقراضى بما يهدد بانقراض كل البشر!".

الخطر الذى يهدد الإنسان أكثر فأكثر ينبع من نفس الميزة (الميزات) التى تميز الإنسان بها على سائر الأحياء، ذلك أن هذا الخطر هو ناتج من اكتساب الإنسان ذلك القدر من "الوعى بالذات وبالزمن"

أن ما انتهت إليه البشرية من إنجازات في كل المجالات (الإبداعية والتقنية والعلمية خاصة) هو أكبر من قدرتها الحالية على استيعابها لصالح تطور نوع البشر، بل إن المردود كان معكوساً في كثير من الأحيان

تم توظيف هذه الإنجازات لتزييف الوعي، لا لحماية النوع وحفز التطور

لم تعد المسألة مجرد إقناع عقلي بفكرة (أو أيديولوجيا)، ولا دغدغة لعاطفة أو تلويع بلذة، وإنما المسألة تخطف كل ذلك إلى مخاطبة الغرائز البشرية (الأصلية، والمصنعة) بما يناسب خدمة الغرض الواحد والمتربص طول الوقت

علينا أن نكتسب الشجاعة الكافية التي نسمع لنا بالحديث عن الغرائز السياسية، والغرائز الدينية، وغريزة القطيع، ونحن نحاول أن نرصد المعركة الدائرة بين تزييف الوعي، وتحريك الإبداع

علينا أن نتقدم خطوة أخرى في محاولة احترام فرض يدعو إلى رصد تخليق غرائز إيجابية جديدة ما أمكن ذلك

إن تزييف الوعي والسلوك والتعلم، راح يتعامل مع غرائز البنية الأساسية (إن صح

## حركية المواجهة:

على الرغم من كل ذلك، فإن لنا تتجمع على الجانب الآخر دفاعاً عن حقهم في البقاء، لنا من كل لون وجنس، دون استبعاد بعض عامة ومبدعي الأمريكيين والإنجليز وغيرهم من الجنوب والشرق من الشرفاء الذين ينتمون لنا لا للسلطة، إن تشكيل مستويات الوعي البشري بما يخدم أحد الفريقين أصبح في متناول كل من يحذق مخاطبة المستويات المغيبة عن بؤرة الخطر القادم. لم تعد المسألة مجرد إقناع عقلي بفكرة (أو أيديولوجيا)، ولا دغدغة لعاطفة أو تلويع بلذة، وإنما المسألة تخطف كل ذلك إلى مخاطبة الغرائز البشرية (الأصلية، والمصنعة) بما يناسب خدمة الغرض الواحد والمتربص طول الوقت.

## غرائز وغرائز:

إشكالية الحديث بلغة الغرائز عامة هي إشكالية حديثة قديمة، لكن المتابع لحقيقة مسارات التطور لا يستطيع أن يتجاوز حتمية مواجهة البدء من غرائز البقاء حتى لو لم يجرؤ على الاعتراف بغريزة الموت، (مع أنها أيضاً تخدم بقاء النوع)، علينا أن نكتسب الشجاعة الكافية التي تسمح لنا بالحديث عن الغرائز السياسية، والغرائز الدينية، وغريزة القطيع، ونحن نحاول أن نرصد المعركة الدائرة بين تزييف الوعي، وتحريك الإبداع، بل إنه علينا أن نتقدم خطوة أخرى في محاولة احترام فرض يدعو إلى رصد تخليق غرائز إيجابية جديدة ما أمكن ذلك.

لعل هيربرت سبنسر هو القائل "إن عادات اليوم هي غرائز المستقبل". من أمثلة الغرائز السلبية الزاحفة التي تكونت حتى كادت تصبح جزءاً من الطبيعة البشرية المصنعة: غريزة الاستهلاك لما لا حاجة لنا به، وغريزة امتلاك ما لا نستعمله، وغريزة الوعد بما لا نقدر عليه، بل ولا نعرفه أو نعرفه (مثلاً: الحرية)، وغريزة قصر النظر، وغريزة القتل عن بعد لمن لا نعرف.

وياليت الأمر اقتصر على تشكيل تلك الغرائز المصنعة، بل إن تزييف الوعي والسلوك والتعلم، راح يتعامل مع غرائز البنية الأساسية (إن صح التعبير) لنفس غرض التدمير والردة، ذلك أنه يجري اختزال غريزة الجنس للجنس (دون التماسل أو التواصل) واختزال غريزة العدوان للقتل (دون الإبداع)، واختزال غريزة الجوع للإذلال (دون الشبع والأمن)، وتحويل غريزة القطيع (الانتماء للمجموع) إلى ما يسمى الديمقراطية لخدمة أي أحد إلا مجموع القطيع.

ونكمل غداً

سألناكم الإفاقة والدعوات!!

- [1] المقتطف من كتاب "تزييف الوعي البشري، وإنذارات الانقراض" بعض فكر يحيى الرخاوي (الطبعة الأولى 2019) وصورته الأولى كانت مقالات في مجلة سطور (من يوليو 1997 إلى يوليو 2006 + 1) والكتاب متاح في مكتبة الأنجلو المصرية وفي منفذ مستشفى دار المقطم للصحة النفسية شارع 10، وفي مركز الرخاوي: 24 شارع 18 مـينة المقطم، و يوجد بموقع المؤلف [www.rakhawy.net](http://www.rakhawy.net) وهذا هو الرابط

- [2] مجلة سطور: (عـد سبتمبر 2003)

أنه يجري اختزال: مخريزة  
الجنس للجنس (دون التناسل  
أو التواصل) واختزال مخريزة  
العدوان للقتل (دون  
الإبداع)، واختزال مخريزة  
الجوع للإذلال (دون الشجع  
والأمن)، وتحويل مخريزة  
القطيع (الانتماء للمجموع) إلى  
ما يسمى الديمقراطية لخدمة  
أى أحد إلا مجموع القطيع.

هذا المقال هو قراءة فى الأحاث الجارية بعن حرب  
العراق وهو يقم فرضا يقول "إن ثم خطرا أساسيا أكبر  
يكن وراء تلاحق هذه الأحاث الكوارث، هو أكبر بكثير من  
الضرر الذى أصاب أفغانستان، والعراق، أو الذى يمكن أن  
يصيب أى قطر يغزوه هؤلاء الغزاة تبت زعم التعمير أو  
التقيرير أو التنوير، هذا الخطر هو: "تزييف الوعي البشرى  
بما يخالف طبيعته، أى طبيعة وقوانين التطور، الأمر الذى  
يسمح بمثل ما يجرى، ثم يبرره ليتمادى بما يهد بانقراض  
الإنسان".

- [3] للأسف اضطرت لتقسيم هذا المقال مرة أخرى ليستكمل  
غنا الأحا الجزء الثانى والأخير حين شعرت أن جرعة الرعب  
التي حملها هذا الجزء تلتاج إلى صمت وإعادة حتى تخف  
لعتها تجا سبيلا لقبول التقيى، ولننتصر ونبقى.

- [4] د. فوزى فهمى "عار العالم" مكتبة الأسرة (2003)

- [5] كان ذلك قبل انتشار سرطان التواصل الاجتماعى عبر  
الفييس بوك ومثله 2019

- [6] جاك إلول "خقة التكنولوجيا" ، ترجمة: د. فاطمة  
نصر، طبعة مجلة سطور، سنة 2002 .

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhaw/RakD260621.pdf>

\*\*\* \*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رفيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتبر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2021 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار العاشر)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 19 على الويب

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميز"

عضوية "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي"

اهداء العضوية

- عضوية " الشريك الراض في العلم " ( عضوية فخريية )

- عضوية "الشريك المميز " ( عضوية الشرفية )

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=36&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3)